

أضواء البيان

. @ 62 @

وقد جاء في الحديث المشهور (افتراق اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وافتراق النصارى إلى اثنتين وسبعين فرقة ، وافتراق هذه الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة ، وأن الناجية منها واحدة ، وهي التي كانت على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه) . قوله تعالى : { كَذِبُ رِءَسَاءِ الْيَهُودِ الَّذِينَ سَوَّاهُ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى الْبَيْتِ } . بين جل وعلا أنه كبر على المشركين أي شق عليهم وعظم ما يدعوهم إليه صلى الله عليه وسلم من عبادة الله تعالى وحده ، وطاعته بامثال أمره واجتناب نهيه ، ولعظم ذلك ومشقته عليهم ، كانوا يكرهون ما أنزل الله ويجهلون في عدم سماعه لشدة كراحتهم له ، بل يكادون يبطلشون بمن يتلو عليهم آيات ربهم لشدة بغضهم وكراحتهم لها . .

والآيات الموضحة لهذا المعنى كثيرة في كتاب الله ، وفيها بيان أن ذلك هو عادة الكافرين مع جميع الرسل من عهد نوح إلى عهد محمد صلى الله عليه وسلم . .

فقد بين تعالى مشقة ذلك على قوم ونوح وكبره عليهم في مواضع من كتابه كقوله تعالى : { وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَذِبُ رِءَسَاءِ يَهُودِكُمْ وَمَنْ قَامَ وَتَذَكَّرِ بآيَاتِ اللَّهِ فَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ تَوَكَّلْتُ عَلَيْهِ } . وقوله تعالى عن نوح { وَإِنِّي كُلَّ مَن دَعَوْتُهُمْ لِيَتَغَفَّرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَعْصَمُوا وَثِيَابَهُمْ وَأَصْرَسُوا } . .

فقوله تعالى { جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَعْصَمُوا وَثِيَابَهُمْ } يدل دلالة واضحة على شدة بغضهم وكراحتهم لما يدعوهم إليه نوح ، فهو واضح في أنهم كبر عليهم ما يدعوهم إليه من توحيد الله والإيمان به . .

وقد بين الله تعالى مثل ذلك في الكفار الذين كذبوا نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم في آيات من كتابه كقوله تعالى { وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا } فقوله تعالى : { تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ } الآية . يدل دلالة واضحة ، على شدة بغضهم وكراحتهم لسماع تلك الآيات . .

وكقوله تعالى : { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا

الْقُرْءَانِ وَالْغَوْا فِيهِ { . وقوله تعالى في الزخرف . { لَقَدْ جِئْنَاكُمْ
بِالْحَقِّ وَالْحَقَّ وَلَآكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لَآئِحِقٌ